

النظرية البنائية الاجتماعية في التعلم لفيغوتسكي

تقديم :

تعد النظرية البنائية الاجتماعية لفيغوتسكي من النظريات البنائية الحديثة في علم النفس ، والتي تسلط الضوء على دور التفاعل الاجتماعي والثقافي في بناء المعرفة الإنسانية ، وظهرت هذه النظرية كرد فعل على النظريات التقليدية التي ركزت في دراساتها لموضوع التعلم على الفرد بمعزل عن محيطه الاجتماعي والثقافي .

نبذة عن حياة فيغوتسكي :

عالم نفس تعليمي روسي ولد سنة 1896 في بيلاروسيا ونال شهادة الأدب من جامعة موسكو عام 1917 ، التحق سنة 1924 للعمل بمعهد علم النفس بجامعة موسكو ، ساهم في تطوير عديد البرامج التعليمية الخاصة بجميع الأطوار التعليمية سيما تلك البرامج التعليمية الموجهة لفائدة الأطفال الصم البكم ، توجت جهوده في المجال البحثي والتعليمي في مجال علم النفس بإطلاق نظرية علمية جديدة في التعلم وهي النظرية البنائية الاجتماعية في التعلم ، والتي اعتبرت إضافة علمية جديدة لفهم موضوع التعلم ، والتي عرفت انتشارا واسعا في البلدان الغربية بداية من سنة 1962 .

تعريف نظرية التعلم البنائية الاجتماعية :

نظرية التعلم البنائية الاجتماعية من أبرز نظريات التعلم ، حيث ترى أن النمو المعرفي لا يحدث بشكل فردي ومعزول كما يراه جون بياجيه ، بل يتطور أساساً من خلال عمليات التفاعل الاجتماعي التي يقوم بها الفرد في السياق الاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه ، فالمعرفة تبنى في بداياتها عبر تفاعل الطفل مع أمه وأفراد أسرته ثم مع الآخرين داخل السياق الاجتماعي والثقافي الذي ينمو فيه ، ويلعب الكبار والأقران دوراً بارزاً في توجيه تعلماته وتنمية قدراته ، ويمكن أن نوجز مفهوم النظرية البنائية الاجتماعية لفيغوتسكي في النقاط التالية :

- التعلم هو عملية نشطة يتم من خلالها بناء المعرفة عبر التفاعل الاجتماعي
- اكتساب المعرفة لا يتم بشكل فردي منعزل عن البيئة الاجتماعية والثقافية
- يتم بناء المعرفة من خلال التفاعل المستمر مع الآخرين في سياق اجتماعي وثقافي محدد .
- تلعب اللغة دوراً مهماً في تطوير العمليات المعرفية فهي التي تيسر للفرد التواصل والتفاعل مع أفراد المجتمع وتبادل الخبرات .
- يحدث التعلم من خلال المشاركة الفعالة في مختلف المواقف الاجتماعية التي تسمح للأفراد بتطبيق معارفهم وتعديلها وإعادة بنائها وفقاً لمتطلبات السياق الاجتماعي والثقافي الذي يعيشون فيه .
- يتم بناء المعرفة من خلال ربط الخبرات السابقة بالخبرات الجديدة .

المفاهيم الرئيسية في نظرية التعلم البنائية الاجتماعية :

1 - اللغة :

- تعد اللغة أحد الوسائط الاجتماعية للتعلم وأكثرها تأثيراً فيه .
- تزيد من عملية التواصل الاجتماعي في التعبير ونقل الأفكار ومشاركة الخبرات .
- تساهم اللغة في تكوين القدرة على التفكير وتنظيم المعاني بمختلف أشكالها وصورها .

2 - البيئة الاجتماعية : حدد فيغوتسكي مصدرين لاكتساب المعارف :

- المصدر الأول يتمثل في تفاعل الفرد مع البيئة (المعرفة اليومية)
- المصدر الثاني يتمثل في التنظيم الشكلي الذي يحدث في الفصول الدراسية (المعرفة العلمية)
- عن طريق هذين المصدرين يتم بناء المعنى ويبنى الفهم ويكون ذلك من خلال البيئة الاجتماعية التي يشارك فيها الطلاب مع معلمهم والأنشطة التعليمية التي يمارسونها في الفصول الدراسية .

3 - التفاوض :

- عملية تفاعلية تشجع الطلاب على الحوار المفتوح وتبادل الأفكار فيما بينهم وبين معلمهم.
- يساعد التفاوض على توليد المعنى المطلوب والفهم الدقيق .

- تؤكد نظرية فيغوتسكي على دور المعلم في توجيه هذا التفاعل (التفاوض من خلال طرح الأسئلة المفتوحة و إتاحة الفرصة للطلاب للتعبير عن آرائهم .

4 - **البنية المعرفية :** هي حصيلة ما يعرفه المتعلم سابقاً من حقائق ومفاهيم، وهي الأساس الذي تُبنى عليه المعارف الجديدة .

5 - **التدويت :** يشير هذا المفهوم إلى العملية التي تتحول فيها المعرفة أو المهارات المكتسبة من خلال التفاعل الاجتماعي إلى قدرة داخلية مستقلة لدى الفرد ، أو هو تسرب المعرفة واستيعابها بعد ملاحظتها في السياقات الاجتماعية والثقافية ، حيث يتمكن الفرد من استخدامها بنفسه وبصفة مستقلة دون أي مساندة من الآخرين .

6- **المساندة :** تشير إلى التوجيهات والترتيبات التي يقدمها الكبار ودوي الخبرة لتمكين الأطفال من إنجاز المهام ضمن منطقة النمو القريبة ، والتعلم يتطور لدى الطفل عندما يزود الشخص الخبير المؤهل هذا الطفل بالمساندة ثم ينسحب تدريجياً حتى يصبح الطفل قادراً على أداء المهمة بنفسه وبصفة مستقلة .

7 - **منطقة النمو المركزية :** هي المسافة بين ما يستطيع الفرد فعله أو القيام به بمفرده وبين ما يستطيع انجازه بمساعدة الآخرين (أكثر خبرة ودراية) .

- مراحل منطقة النمو القريبة المركزية

1 - **الأداء المساعد من الآخرين الأكثر قدرة :** يعتمد تعلم الأطفال في هذه المرحلة على البالغين أو الأقران الأكثر قدرة على أداء المهمة قبل الانشغال بها بمفردهم ، وترتبط كمية ونوع المساعدة التي يحتاجها الطفل على مستوى عمره وطبيعة المهمة السلوكية .

2 - **الأداء المساعد الذاتي :** في هذه المرحلة ينتقل الطفل إلى معرفة المسؤوليات والقواعد اللازمة والمحددة من قبل والتي كانت مقسمة بين الطفل والشخص المساند له ، فيصبح الطفل قادراً على السيطرة عليها كاملة بمفرده ،

ويكون الأطفال خلال هذه المرحلة قادرين على انجاز المهام بمفردهم دون الاستعانة بالآخرين ، إلا أن هذا لا يعني أن تطور أدائهم ثم بشكل كامل .

3 - تطور الأداء التلقائي (التثبيت) : ينتقل الطفل خلال هذه المرحلة من منطقة نموه إلى مستوى متطور في أداء المهام ، فيستطيع أدائها بشكل كامل ومتكامل بدون أي مساعدة ومساندة من الآخرين ، حيث تصبح هذه الأخيرة أداة معرقة للأداء وما على الشخص المساعد إلا الابتعاد وعدم التدخل في أداء الطفل .
4 - إزالة تلقائية الأداء يؤدي إلى العودة للخلف من خلال منطقة النمو القريبة

إن عملية تعلم الأفراد تتكون من نفس هذه الخطوات المتسلسلة والمنظمة لمنطقة النمو القريبة المركزية ، حيث ينتقل الفرد من التعلم بمساعدة الآخرين إلى التعلم من خلال مساعدة الذات ، وبتكرار هذه الخطوات مرة تلو الأخرى تنمو قدرات جديدة لدى الفرد ، وعندما ينتهي الفرد من تعلم مهارة من المهارات بشكل كامل وتتطور قدرته على أدائها بشكل ألي تلقائي و مستقل عن الآخرين ، يعود مرة أخرى الى منطقة النمو القريبة المركزية لتعلم مهارة جديدة .